يؤكد خبراء في الشأن المسيحي العراقي ان موجات هجرة المسيحيين الى اوروبا والغرب بدأت منذ الاربعينات والخمسينات من القرن الماضي، لكن الهجرة المكثفة التي حصلت منذ عام ٢٠٠٣ لم يشهد لها مثيل، نتيجة غياب الامن والاعتداءات التي تعرض لها كنائسهم واديرتهم. وكان آخرها وربما ليست الاخيرة ما حصل في كنيسة النجاة التي راح ضحيتها اكثر من خمسين مسيحياً ومارافقها بعد ذلك من تهديدات تنظيم القاعدة لمسيحيي العراق بمغادرة وطنهم والاعمال الارهابية التي حدثت خلال الاسابيع الماضية. فهل يتعرض مسيحيو العراق للاعتداءات لانهم على دين يسوع المسيح؟ ام لكونهم أقلية؟ ام للسببين معاً؟ ويبدو ان ايام العراق ما بعد ٢٠٠٣ ترجح القول انهم يتعرضون لذلك لانهم عراقيون فحسب. فجماعات العنف في العراق وزّعت ظلمها على جميع الابرياء بالتساوي. ولعل الهجمات التي حدثت بعد يوم واحد من مجزرة كنيسة النجاة استهدفت العراقيين بكل طوائفهم. الا ان تعرض المسيحيين لهجمات متواصلة يثير الخوف والهلع في اوساطهم كما يثير الحيرة والحزن داخل العراق عموماً، لانهم الاكثر هدوءاً وسلماً، فهم، طوال تاريخهم الذي يمتد الى اكثر من ألفي سنة في بلاد ما بين النهرين، تعاملوا بواقعية عالية وهادنوا السلطات والناس العاديين، وتمكنوا من بلورة سمعة طيبة وعريضة في الاوساط العراقية.

الوقف المسيحي يرفض دعوات الهجرة

مسيحيو العراق.. ارادة البقاء على الرغم من الاخطار

بغداد/المدى

وهم اليوم بين سندان القوى المهيمنة ومطرقة العنف، على حد تعبير احد سكان مدينة الموصل التي تعرض سكانها المسيحيون لحملة اعتداءات واسعة ادت الى نزوح قرابة اكثر من ٢٠٠٠ عائلة من مناطق وجودها في القرى المحاذية لمدينة الموصل الى إقليم كردستان، الذي مثل لهم ملاذاً آمناً في السنوات الاخيرة.

ويشار الى ان مسيحيي العراق يتوزعون على قوميات ومذاهب متعددة يمكن اجمالها بأربعة مكونات رئيسية هي: الكلدان، الاشوريون، السريان، الارمن. فالكلدان اتباع الكنيسة الكاثوليكية. والأشوريون اتباع كنيسة العراق القديمة (النسطورية) وينقسمون بدورهم الى ثلاثة مذاهب مسيحية. اما السريان، فينقسمون بين سريان كاثوليك وارثوذكس وهم اتباع الكنيسة الغربية في سوريا. واخيرا الارمن وهم في معظمهم من المهجرين ضحايا الاضطهاد العثماني في تركيا، فضلاً عن الاقباط والبروتستانت والطوائف الغربية الاخرى وبنسبة لا تتعدى واحداً في المئة من عدد مسيحيي العراق وهم بصورة عامة ترشحوا من مذاهب وطوائف اصلية في العراق، استناداً الى مصادر مسيحية.

ألم عند باب الله

ومع وجود اكثر من ٦٢ كنيسة وديراً في بغداد، تغري آثار الدمار الماثلة حتى الآن عند مدخل كنيسة مريم العذراء في شارع فلسطين ببغداد، بعد تعرضها لانفجار سيارة مفخخة في تموز الماضي في سلسلة انفجارات الكنائس الستة، بالذهاب اليها، فضلاً عن ان المشهد برمته ربما لخص تاريخ عذاب سكان وادي الرافدين القدماء منذ احتلال العراق. والى مشهد الاضرار المؤلم الذي لحق بالمكان، يلفت الانتباه رجل يقف قرب باب المطران شليمون وردوني راعي الكنيسة على امل الحصول على مساعدة للعودة الى مهجره في مدينة عين كاوة في محافظة اربيل بعد تهجيره من بيته في حي الدورة ببغداد. يبدو كأنه يضاعف مشهد الالم عند باب الله. وحين سألته لماذا رحلت الى الشمال، أجاب: "جماعات العنف خيروني بين أن أزوج احدى بناتي لاحدهم او ادفع الجزية؛ وفضلاً عن ذلك اختطفوا احد اخوتي وطلبوا ٣٠ الف دولار لاطلاقه، فاعطيناهم المبلغ وقتلوه!".

ولكن لأن ما يجمعه الله لا يفرقه الانسان، ولأن ابواب رحمة الله اوسع من ثقوب شر الشيطان، كان لوجود نساء مسلمات عند مغارة السيدة العذراء في الكنيسة يتوسلن السيدة ويقدمن لها النذور، مغزى ودليل يرمز الى تاريخ التعايش بين مختلف الاديان والطوائف العراقية وبذرة أمل في وادي الحزن والدموع.

ديوان الوقف المسيحي يرفض دعوات الهجرة

فيما دعا ديوان الوقف المسيحي في العراق، ، إلى عدم تلبية دعوات التهجير، معتبرا تلك الدعوات بأنها "ورقة سياسية معروفة النوايا".

وقال رئيس الوقف المسيحي والديانات الأخرى عبد الله الهرمزي في حديث لـ"السومرية نيوز"، إن "الدعاوى إلى تهجير المسيحيين ليست قانونية ولا حتى إنسانية، وإنما سياسية وهي معروفة النوايا، وأن اجتثاث أي إنسان من وطنه يعد ظلما لا يقره إي قانون مدني أو عالمي"، داعيا المسيحيين إلى "عدم تلبية مثل هذه الدعوات".

وعبر الهرمزي عن "ترحيبه بالدعوات، التي جاءت مؤخرا من قبل إقليم كردستان ومحافظة النجف للمسيحيين"، مؤكدا "ضرورة إيجاد فرص عمل لهؤلاء اللاجئين والمضطهدين".

وكانت حكومة إقليم كردستان العراق قد أعلنت، الأربعاء، عن تشكيل لجنة وزارية برئاسة وزير الداخلية وعضوية ممثلين عن الكنائس في الإقليم، بهدف تقديم التسهيلات لاستقبال النازحين المسيحيين القادمين من بغداد والموصل، كما أصدر مجلس محافظة النجف أيضا توصية لدوائر المحافظة تنص على السماح للمواطنين المسيحيين بالسكن في كافة مناطق المحافظة، والعمل في كافة دوائرها الرسمية وجامعتها ضمانا لسلامتهم.

وأشار الهرمزي إلى أن "المسحيين العراقيين كان عددهم قبل العام ٢٠٠٣ مليوناً ونصف المليون، فيما لا يصل عددهم الآن إلى ثلث هذا الرقم نتيجة الأوضاع الأمنية والاقتصادية"، لافتا إلى أن "عدد المسيحيين العراقيين المتواجدين خارج البلد حاليا بلغ ٧٥٠ ألف شخص".

وأكد الهرمزي "وجود وثائق قدمتها الدول الأجنبية للمسيحيين العراقيين الذين يرومون الخروج من العراق بكثرة، مصادقتها من قبل وزارة الخارجية، ولاسيما بعد حادثة سيدة النجاة".

وعبر الهرمزي عن استغرابه من "تصرف بعض الدول الأجنبية التي وجهت الدعوة للمسيحيين وأنها لا تعطي الفيزة الرسمية لهم، وإنما تطالبهم كلاجئين سياسيين لديها"، واصفا هذه العملية بأنها "مزايدة إعلامية سياسية على المسيحيين ونحن لا نتقبلها".

وكان رئيس أساقفة كركوك لويس ساكا، قد أكد في حديث لـ"السومرية نيوز"، أول أمس الثلاثاء، أن ما يزيد على ١٤٠ عائلة مسيحية قادمة من بغداد والموصل، نزحت من مناطقها وتوجهت للإقامة في اربيل والسليمانية وقرى ومناطق بضواحي الموصل في أعقاب تفجيرات كنيسة سيدة النجاة ببغداد.

اقليم للمسيحيين

ونظراً الى الفظائع التي تعرض لها مسيحيو العراق في مختلف مدنه وفي الموصل خصوصا، دعت قيادات دينية وسياسية مسيحية الى التفكير في المطالبة باقامة منطقة عازلة او اقليم خاص بالمسيحيين في سهل نينوى. إلا أن المطران وردوني مع بقاء العراق موحدا، لكنه من حيث المبدأ يؤيد الفكرة اذ أدت الى حماية الوجود المسيحي في العراق، مع انه لا يريد ان يعيش المسيحيون في "قفص". وقال "اذا كان الحكم الذاتي من اجل الدفاع والحصول على حقوقنا فهذا ما نريده، اذ اننا ندافع بكل قوة من اجل ان يحصل المسيحيون على حقوقهم كاملة، وان يحكموا او تكون الادارة في ايدي ابنائهم، وبعلاقة مباشرة مع الحكومة المركزية، لكننا لا نريد ان نكون في قفص".

وعن الخطوات التي تمت في هذا المجال حتى الان لفت الى ان هذا أمر سياسي وهو "ليس من شأننا وحين نسأل نعطي رأينا، وندعو الزعماء المسيحيين الا يفضلوا خيرهم وخير حزبهم الشخصي على خير ابناء جلدتهم".

نمرود قرياقوس

ومثل غالبية العائلات العراقية سواء المسلمة او المسيحية، شهد العراق هجرات كثيرة من الريف الى المدينة بحثا عن الامن ولقمة العيش.

ومن تلك العائلات عائلة نمرود قرياقوس التي هاجرت من قرى العمادية في دهوك مطلع الستينات من القرن الماضي عقب نشوب الحرب بين حكومة بغداد والمقاتلين الاكراد. وادت الهجرات الى اندماج ابناء هذه العائلات في مختلف المهن والوظائف الحكومية. واختار نمرود مهنة حرة وخدم في الجيش السابق خلال الحرب العراقية – الايرانية (١٩٨٠ – ١٩٨٨)، وتعرض لاصابتين في معركتي الفاو والانفال (١٩٨٢ – ١٩٨٨)، فضلا عن اعاقة احد اخوته في تلك الحرب.

ودرج على الميل الى خط اليسار العراقي، فضلا عن اعتداده الشديد بهويته العراقية، لكنه لا شك يفضل عليها قوميته الآشورية. اما اليوم، فهو يلعن اليسار واليمين العراقي، فضلا عن اعتقاده ان السياسيين المسيحيين "لا يكترثون الا لمصالحهم الخاصة".

ويقول نمرود ان ما تعرض له المسيحيون في السنوات الاخيرة يفوق ما تعرضوا له في قرن كامل، وانه "من بين ٤٥٠ عائلة من اقاربي لم تبق الا ٢٠ عائلة لم يسعفها الحظ بالالتحاق بأقاربها في اوروبا والولايات المتحدة واوستراليا".

واعتبر زيا ننو زيا الذي ولد وعاش في البصرة ٣٥ سنة، ان احوال المسيحيين في البصرة سيئة جدا بسبب الضغوط التي يتعرضون لها وقال: "كان ابي، الذي هاجر من قرية في شمال العراق الى البصرة عام ١٩٤٨ وعمل هناك وتزوج امي اللبنانية، يعمل في ميناء البصرة، وكانت الاوضاع آنذاك رائعة. لكن اليوم تغير كل شيء، فالمسيحيون في البصرة انحسر وجودهم بشكل مخيف، ولم يبق منهم الا قرابة ٢٠٠ – ٣٠٠ عائلة من اصل ٤٠٠ الف شخص من جميع الطوائف المسيحية".

وأكد ان احياء الموفقية والجمهورية والاندلس والعزيزية وابريهه والكزارة في البصرة، كانت تضم غالبية مسيحية، اما اليوم فقد فرغت تماما او تكاد وجماعات الاسلام السياسي فرضت الحجاب على الجميع بمن فيهم المسيحيون، وعندما يرون امرأة غير محجبة يقولون: استغفر الله... اعوذ بالله". واضاف: "لولا اصابة امي بمرض الزهايمر وسوء حال ابي الصحية لغادرت العراق منذ زمن طويل.

يونادم كنا: القبض على عدد من مخططي ومنفذي جريمة "سيدة النجاة"

من جانب اخر النائب عن قائمة الرافدين يونادم كنا نقلا عن وكيل وزارة الداخلية أكد القاء القبض على عدد من المخططين والمنفذين لجريمة كنيسة "سيدة النجاة"، مضيفا أن وكيل الوزارة أبلغه شخصيا أن التحقيق سيكشف تفاصيل أخرى عن الجريمة وعن الذين يقفون وراءها.

النائب كنا الذي اختير مقررا للجنة قرأ التوصيات التي تم الإتفاق عليها وتضمنت دعوة الأجهزة الأمنية لـ"تحمل مسؤوليتها في حماية المواطنين وفرض سلطة القانون"، وطالبت التوصيات بـ"تشكيل مركز متابعة في مكتب القائد العام في نينوى يضم ممثلين عن المسيحيين لتطويق أي توترات". كما دعت إلى "توحيد المرجعية الأمنية في بغداد ونينوى وإعادة فتح ملفات التحقيق في الإعتداءات السابقة والحالية"، وتضمنت التوصيات المطالبة بـ"إيقاف تصرفات الدوائر البلدية والعقارات في سهل نينوى وتشكيل آمرية شرطة محلية تقوم بحماية مناطق السهل وفك ارتباط شرطة حماية دور العبادة عن تشكيلات حماية المنشآت، وتخصيص مبالغ مناسبة لتعويض ذوي الشهداء والجرحى والعوائل المهجرة واعادة اعمار وترميم الأبنية والممتلكات" المتضررة.

يذكر أن هذه التوصيات وبعد مناقشتها والتصويت عليها ستقدم للحكومة من اجل تنفيذها تحت مراقبة ومتابعة اللجنة البرلمانية.

العنف قد يدفع الكثيرين إلى الهجرة

وكالة الصحافة الفرنسية كانت قد التقت مع عائلة مسيحية مكونة من سبعة أفراد، أكبرهم وفاء (٢٢ عاماً)، وأصغرهم دانا التي لم تتجاوز ربيعها العاشر. ويقول دانيال "رحمة الرب ألهمتني الحياة من جديد، فقد تأخرت عن القداس بسبب تعطل سيارتي، وهكذا أصبحت شاهد عيان على الفاجعة".

ويصف دانيال لدويتشه فيله ما حدث بالقول: "مسلحون طوال القامة، يرتدون سترات ناسفة، اقتحموا الكنيسة، وكانوا مدججين بالأسلحة والقنابل. الحادث تفاقم بسرعة كبيرة. ودوي الرصاص استمر لساعات، يرافقها صراخ الأطفال والنساء، لتنتهي الحادثة بفاجعة مقتل ٥٢ من المصليين، وجرح عدد آخر".

ويستدرك قائلا: "الحياة في العراق، وخاصة بغداد، لم تعد آمنة بشكل مطلق، فالاستقرار الأمني هش إلى درجة كبيرة، وينهار بين طرفة عين وأخرى. حياتنا تشوبها المخاوف، والقلق مستمر، ولا سبيل لنا سوى الهجرة".

وكان عدد من كنائس بغداد والموصل قد تعرض خلال السنوات الماضية إلى تفجيرات، أشدها عام ٢٠٠٥، فيما هاجر حوالي ١٠٠ ألف مسيحي من الموصل قبل أكثر من سنتين بعد مقتل العشرات منهم في المنطقة ذاتها.

عائلة دانيال ليست وحدها التي تعيش دوامة القلق والخوف، فهناك عدد كبير آخر من العائلات التي تعيش نفس المصير، ومن بينها عائلة أبو شيلان. وهذه تعاني بشكل مزدوج، فهي مهجرة أصلاً من الموصل، واستقرت في بغداد منذ أكثر من سنتين. وهي كما يقول أبو شيلان، تستعد لمغادرة العراق بشكل نهائي.

يقول أبو شيلان في حوار مع دويتشه فيله: "إن عائلته ستهاجر إلى أوروبا عن طريق منظمة الهجرة الدولية لأن البقاء في العراق أصبح صعبا جدا، فنحن الطائفة الأضعف والأصغر في البلاد". لكنه عبر في الوقت نفسه عن ألمه عندما يفكر في هجرة بلده، وعن حزنه الشديد على ما آلت إليه الظروف في "بغداد السلام".

واستنادا إلى إحصاءات غير رسمية انخفض عدد المسيحيين في العراق من مليون و٣٠٠ ألف إلى ٧٠٠ ألف حالياً، فيما يقدر عدد اللاجئين منهم بـ٢٠٠ ألف شخص.

إرادة البقاء على الرغم من الخطر

أفيان ازودي (٣٤ عاماً) تتحدث بحزن شديد وعيون متعبة قائلة: "إن جراحها لم تندمل بعد على أخويها اللذين فقدتهما في عام ٢٠٠٦، وأن مجزرة سيدة النجاة أضافت لها جرحا جديداً بفقدها زوجها. وتوضح أفيان لدويتشه فيله أنها لا ترغب في هجرة العراق، بالرغم من أن أقاربها في أوروبا رتبوا أمر خروجها. وتضيف قائلة: "نعيش منذ أكثر من ٣٠ عاماً في منطقة الكرادة، وعلاقتنا بالمسلمين في أفضل حال، ولم يكن الدين يوماً سبباً في تنافرنا، فبعضنا يشارك الأخر في الفرح والحزن". وتؤكد أن اعتزازها بمنطقتها وجيرانها يلغي فكرة الهجرة، بالرغم من مخاوفها الكبيرة من الاستهداف الذي طالهم .

في حين أبدت سوميه حنا توما (٣٥ عاماً) قلقها من عودة استهداف المسيحيين الذي سيؤدي، بحسب قولها، إلى هجرة جديدة لهذه الطائفة. وتقول سوميه: "بدأت أخشى إرسال أطفالي إلى المدرسة وأخشى الخروج للتسوق، وقلقي يتزايد يوماً بعد آخر، والأحوال لا تبشر بانفراج للأزمة". وتعتقد سوميه أن الأيام القادمة ستشهد نزوحاً مسيحياً جديداً بعد هذه الأحداث.

أفيان ازودي (٣٤ عاماً) تتحدث بحزن شديد وعيون متعبة قائلة: "إن جراحي لم تندمل بعد على اخويّ اللذين فقدتهما في عام ٢٠٠٦، وأن مجزرة سيدة النجاة أضافت لها جرحا جديداً بفقدها زوجها. وتوضح أفيان لدويتشه فيله أنها لا ترغب في هجرة العراق، بالرغم من أن أقاربها في أوروبا رتبوا أمر خروجها. وتضيف قائلة: "نعيش منذ أكثر من ٣٠ عاماً في منطقة الكرادة، وعلاقتنا بالمسلمين في أفضل حال، ولم يكن الدين يوماً سبباً في تنافرنا، فبعضنا يشارك الأخر في الفرح والحزن". وتؤكد أن اعتزازها بمنطقتها وجيرانها يلغي فكرة الهجرة، بالرغم من مخاوفها الكبيرة من الاستهداف الذي طالهم .